

مَسْئَلَةٌ
فِي الْأَكَاكِلِ فِي الْعَبْدِ الْمُحَبَّةِ
لَمَّا هُوَ خَيْرٌ وَجُودٌ مَحْمُودٌ فِي نَفْسِهِ

لشَّيْخِ الْإِسْلَامِ فَقِيهِ الدِّينِ بَنِي تَيْمِيَّةَ

تَحْقِيقُ
الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ رِشَادُ السَّامِ
الطَّبَاتُكَانِيُّ أَمِيرُ الدَّرَجَاتِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ الْمَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ، الرَّابِعَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ، فهذه رسالة لم يسبق نشرها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله ، وهي واحدة من أربع رسائل مخطوطة في مكتبة المكنب الهندي بلندن تحت رقم : دهي عرى ١٨٥٧ . وأولى هذه الرسائل رسالة بعنوان « مسألة فيمن يعتقد أن الكواكب لها تأثير في الوجود » وتشغل الصفحات من ظ ١٠٧ إلى ص ١١٦ . وقد سبق نشر هذه الرسالة ضمن الجزء الأول من مجموع الفتاوى الكبرى (ص ٣٢٣ - ٣٢٦) ، ط . فرج الله الكردي ، القاهرة ١٣٢٦ ، (وأعيد طبعها في مجموع الفتاوى بالرياض) .

وأما الرسالة الثالثة فتقع في الصفحات : ظ ١٢١ - ١٢٦ وتبدأ كالميل :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. أحمد بن تيمية إلى المولى السيد السلطان الملك المؤيد أبيه الله ... » وهي رسالة لم تنشر بعد ، ونص في أولها أنها لابن تيمية .

والرسالة الرابعة هي : مسألة في قرب العبد إلى الرب وقرب الرب إلى العبد ، وسبق نشرها ضمن مجموع فتاوى الرياض (ج ٥ ص ٢٢٦ - ٢٤٦) وتشغل هنا صفحات ١٢٦ - ١٣٧ .
وجميع هذه الرسائل مع الرسالة الثانية التي أحققها وأنشرها هنا بخط واحد وبنفس عدد السطور والكلمات .

أما رسالتنا فهي بعنوان : « فصل فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه » وتستغرق الصفحات ١١٧ - ١٢١ من هذه المجموعة .

وصف المخطوطة :

كتبت هذه الرسالة بخط نسخ حديث منقوط ، ومسطرتها ١٧ سطرًا في كل سطر حوالي ١١ كلمة ، ورقمت الصفحات في أعلاها إلى جهة اليسار بأرقام عربية (الأرقام في وجه الصفحات وليست في ظهورها) ورقمت المكتبة الصفحات بأرقام أوربية .

وفي أعلى الصفحة الأولى من الرسالة كتبت : « مسألة فيما إذا كان العبد محبة » وفي وسط الصفحة كتب جزء من البسملة هكذا : بسم الله الرحمن ولم تظهر بقية البسملة وفي أسفل الصفحة ختم مكتبة الحكومة الهندية هكذا :

The Government of India وفي وسط الختم كتب Delhi Mss. أى مخطوطات دلهي . وظهر رقم الصفحة في أعلاها إلى اليسار وهو : ١١٧ .

وتبدأ الرسالة في ظ ١١٧ . وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وفي السطر الثاني : « فصل : فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق » وبعد هذا حروف من كلمة « ومحمود » لم تظهر منها الدال ولم يظهر حرف الجر « في » بعدها .

وأما الكلمات الأخيرة في آخر صفحة من الرسالة وهي ص ١٢١ فهي : « والشقى من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشريعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

ولم ينص في هذه الرسالة على أنها لابن تيمية ولكن وجودها بين ثلاث رسائل أخرى كلها لابن تيمية ، وكونها بنفس الحظ وبنفس الهيئة ، فضلا عن أسلوبها وموضوعها ، كل هذا يجعلنى أكاد أجزم بكونها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله .

وتلى رسائل ابن تيمية رسالة للغزالي كتبت بخط مختلف وهي رسالة المعارف العقلية للغزالي ، وضمت في مجلد واحد إلى رسائل ابن تيمية السابقة .

ولم ينص على اسم ناسخ هذه الرسائل ، ولكن ذكر في الرسالة الأولى أنها : « ملك الفقير أحمد الباسطي بن عيد الباسط ثم ملكه عبد الرحمن أحمد خادم الإمامين الأعظمين » .

ولعل موضوع هذه الرسالة الصغيرة هو أجمل موضوع وأقره إلى المناسبة التي ضمت هذه المجموعة من الأبحاث والمقالات ، أعني مناسبة تكريم أخي وأستاذي الأستاذ محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، مد الله تعالى في عمره ونفع بعلمه المسلمين .. اللهم آمين .

محمد رشاد سالم

فيما اذا كان
العيد

سرايا الرحا



بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في بيان ما في العبد من محبة ما هو فيه وجوهر
نفسه هو فعل ما فيه من المحبة له لله والقدرة من السر كاشف
حب الاجسام التي في الجاهات بحسب القوة والخيالات بحسب القوة
وادرار الحقائق بحسب الصدق والوفاء بحسب الدوام وصدق الرضا
في نفس الشئ بما في خلقه من تليقهم له بهر في وقت النفس
العلمية والعلمية في انزال العلم يطلبونه بحسب والحمد في الامور
الماضي احسن حبنا طلب العلم في وجهه لله تعالى في تميز
والمر في خبيثات من فعله في هذا الجاه من القوة في الله خلقها
محبة للمعرفة والعلم وادرار الحقائق في خلقها في محبة للاسباب والاعمال
والوفاء بحسب خلقها في محبة للاجسام والرحمة للناس في فعلها في
الامور في تميزها في اجرة الخلق في يطلب مدح احد ولا خوف في ربه
بالاعمال في ادراكها في اخرى في تميزها في المحي في تميزها في رجب
وسرور في تميزها في سماع الاصوات الجسدية في تميزها في الاشياء البهية
في تميزها في الرطب الطيب في ذلك في تميزها في تميزها في تميزها
في تميزها في تميزها في تميزها في تميزها في تميزها في تميزها
في تميزها في تميزها في تميزها في تميزها في تميزها في تميزها

بسم الله الرحمن الرحيم

/ بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

فبما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود [في] نفسه ، فهو يفعل ما فيه من المحبة له ، لا لله ، ولا لغيره من الشركاء ، مثل أن ^(١) يحب الإحسان إلى ذوى الحاجات ، ويحب العقو عن أهل الجنايات ، ويحب العلم والمعرفة ^(٢) وإدراك الحقائق ، ويحب الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم ، فإن هذا كثير غالب في الخلق في جاهليتهم وإسلامهم ، في قوى النفس العلمية والعملية ، فإن أكثر طلاب العلم يطلبونه محبة ، ولهذا قال أبو داود للإمام أحمد بن حنبل : طلبت هذا العلم - أو قال - : جمعه الله ؟ ، فقال : لله عزيز ، ولكن حُبب إليّ أمر فقعلته . وهذا حال أكثر النفوس ، فإن الله خلق فيها محبة للمعرفة والعلم وإدراك الحقائق ، وقد يخلق فيها محبة للصدق والعدل والوفاء بالعهد ، ويخلق فيها محبة للإحسان والرحمة للناس ، فهو يفعل هذه الأمور : لا يتقرب بها إلى أحد من الخلق ، ولا يطلب مدح أحد ولا خوفاً من ذمّه ، بل لأن هذه الإدراكات والحركات يتنعم بها الحيّ ويلتذ بها ، ويحبها فرحاً وسروراً ، كما يلتذ بمجرّد سماع الأصوات الحسنة ، وبمجرّد رؤية ، الأشياء البهجة ، وبمجرّد الرائحة الطيبة .

(١) أن : مطبوعة في الأصل .

(٢) والمعرفة : مطبوعة في الأصل .

(٣) في الأصل طمست الحروف الأخيرة من السطر

بحيث تقرأ : بحق ومحمو ، ولعل الصواب ما أثبت .

وكذلك يلتذ ويفرح ويتنعم بمعرفة نفسه للأشياء التي تُعرف بالباطن ، ويلتذ أيضا بشهود باطنه وإحساسه ، كما يلتذ بشهود ظاهره وإحساسه ، وكذلك يلتذ بما تعقله نفسه من الأمور الكلية / التي تعقلها ، وكذلك في أفعاله وحركاته ، كما يلتذ بأكله وشربه ونكاحه ، وكما يلتذ برحمته وإحسانه إلى أهل الحاجات من أقاربه وغير أقاربه ، ويلتذ بالجلود والإعطاء ، ويلتذ بالعفو عن المسيء إليه وترك معاقبة المسيء ، كما يُذكر عن المأمون أنه قال : لقد حُبب إليّ العفو حتى إنى أخاف ألا أثاب عليه . فهذه مكارم الأخلاق التي تكون في بنى آدم ، كما كانت تكون في أهل الياضية ، فهذا الحسن وهذه الحركة الإرادية يتنعم به الحى ويتنفع به ويلتذ في الحال .

ولا يقال : إن فعل ذلك لغیر غرض ولا لجلب منفعه أو دفع مضرة ، بل فيه جلب منفعه ودفع مضرة في نفسه ، كما في نفس الأكل والشارب يستجلب به منفعة الشبع ، ويستدفع به مضرة الجوع ، فهكذا سائر هذه الأمور يدفع بها عن نفسه مضرات ، ويستجلب لها بها لذات .

ولهذا يُقال : اشتقت نفسه ، وشفيت صدرى ، فيجد شفاءً في صدره ، كما يجد شفاءً في جسمه بزوال المرض وحصول العافية .

وهذه أمور محسوسة بالباطن والظاهر ، وهى التي أدرك حسنها من قال : إن العقل يُقيح ويُحسن ، ومن قال : إن العلم بحسنها لصفة قائمة بها معقولة : إما بالبدية وإما بالنظر ، أو معلومة بالشرع .

ولقد صدق في قوله : إن حسنها وقبحها لمعنى قام بها ، وصدق أن ذلك قد يُدرك بالعقل ، وقد يدرك بالشرع .

وقد غلط الأول في نفيه ^(١) أن يكون ذلك لمخافيه من جلب منفعة إلى العبد ودفع مضرة راجعة إلى نفسه ، وإن كان ذلك في الدار الآخرة أيضا ، فإن / ذلك أمر محسوس .

والثاني ^(٢) غلط حيث اعتقد أن ذلك ليس لصفة في الفعل ، وأن الحسن والقبح ليس إلا مجرد

^(١) في الأصل : في نفسه ، ولعل الصواب ما أثبتته . وابن

لحمية يعقب هنا على الآراء المختلفة في هذا الموضوع ، ولعله

يلخص بالآول الكلام الذى سبق ذكره وفيه : لا يقال : إن فعل

^(٢) الرأى الثالث الذى يشير إليه ابن تيمية هو رأى

الأشاعرة في مسألة الحسن والقبح .

الاشاعرة في مسألة الحسن والقبح .

إضافة الفعل إلى الأمر والنهي ، فأصاب بعض الإصابة في كونه جعل ذلك من الملازمة للطبع والمنافرة عنه ، ومن باب كمال المتصف بذلك ونقصه ، ولكن غلط في ظنه أن الحسن والقبح العقليين صادرتين عن ذلك ، ولم يغلطا كل الغلط ، فإن الحسن والقبح : الذي يُدرك بالحس والعقل وبالشرع ، وبالبصر والنظر والخبر ، بالمشهور الظاهر وبالباطن ، وبالمعقول القياسي وبالأمر الشرعي ، هو في الأصل من جنس واحد ، فإن كلاً يُعَلَّمُ بذلك ، يثبت به مالا يُعَلَّمُ بالآخر ويثبت به .

وهذه الطرق الثلاثة : السمع ، والبصر ، والعقل ، هي طرق العلم :

طرق العلم الثلاثة

١ - البصر - وهو المشهود الباطن والظاهر - يدرك ما في هذه الحركات والإزادات من الملازمة والمنافرة ، والمنفعة والمضرة العاجلة .

٢ - السمع - وهو وحى الله وتنزيله - يخبر بما يقصّر الشهود عن إدراكه من منفعة ذلك ومضرته في الدار الآخرة . الحكاية

قيام الدين بالفطرة وتقديرها ، لا بتحويلها وتغييرها ، فإن كل مولود يولد على الفطرة ، والله خلق عباده خُتفاء فاجتالتهم الشياطين وحُرِّمت عليهم ما أحل الله لهم ، وأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا . هكذا أخبرنا الله فيما روى عنه رسوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم ^(١) .

فهم بفطرتهم يحبون الله وحده ويحبون تناول ما يحتاجون إليه من الطيبات ، واغنية تتبع الشهود والإحساس ، فهذا الذي في فطرتهم من الحس والحركة إلى عبادة خالقهم مما يعينهم / عليها من طيبات الرزق ، هو وجه الحسن الثابت بالأفعال الحسنة : مأمورها ومباحها ، فإن ذلك كله حسن ، لما فيه من هذه الملازمة المناسبة واغنية التي فطروا عليها ، فما كان من ذلك مشهودا في عالم الشهادة أدرك بالشهود والإحساس ، وما كان غيباً أدرك بالسمع الذي جاء به المرسلون .

من ١١٩

خطبته : ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلكم ... وإلى خلقت عبادي خُتفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحُرِّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا والحديث مع اختلاف في اللفظ في المسند =

^(١) الحديث عن عياض بن حماد انما سمى رضى الله عنه في : مسلم ٤ / ٢١٩٧ - ٢١٩٨ (كتاب الجنة وصلة نعمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله : ... أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في

٣ - العقل
(القلب)

والقلب يعقل هذا المشهود وهذا المسبوع ، فلا بد من أن يعقل ما أمر الله به وأخبر ، كما لا بد أن يعقل ما شهدنا وحسنا ، فيعقل الشهادة والغيب ، بمعنى ضبط العلم بحريان ذلك على وجه كلي ثابت في النفس .

لكن زعم أولئك أن العقل يُدرك من حسن الفعل وقبحه ما فيه ملائمة باطل^(١) ، كما أن زعم أولئك أن الشرع يأتي بحسن أو قبح لا ملائمة فيه باطل ، فأولئك إنما نقوا ذلك لأنهم أرادوا أن يشتوا للرب من جنس ماعقلوه في البشر ، وأنكروا الملائمة في حقه والمنافرة . وهؤلاء أرادوا أن يشتوا شرعاً محضاً مبنياً على محض المشيئة ليس فيه ملائمة ولا منافرة ، وكلا الفريقين أنكر حقيقة محبة الله ورضاه للأفعال الحسنة ، وبغضه للمسيئين بها ، وهذا هو المعنى الذي يُعبرون عنه في حقنا : الملائمة والمنافرة ، وإنما اتوا من جهة ما فيهم من نوع تجهم^(٢) .

ولهذا أنكر أولئك - مع إنكارهم هذه الصفات - أنكروا القدر ، وهو عموم قدرته ومشيئته وخلقه ، وأنكر هؤلاء ما في الشريعة من المناسبات والخاصات التي انطوى عليها الأمر والنهي ، وأنكروا أيضاً ما في خلقه ومشيئته من الحكمة والرحمة .

= (ط . الخليل) ١٢٢/٤ .

(١) يقصد ابن تيمية بذلك المعتزلة وأمتانهم ممن يقولون بأن العقل وحده - بدون الشرع - كاف في إدراك الحسن والقيح ، وأن حكم العقل يغني عن الشرع ، أو أن الشرع تابع في حكمه لحكم العقل .

(٢) يقول ابن تيمية في فصل في مسألة تحسين العقل وتقيحه : (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٨ : ٤٣١ - ٤٣٦ ، طبع الرياض ١٣٨١) : « فالناس في مسألة التحسين والتقيح على ثلاثة أقوال : طرفان ووسط . الطرف الواحد : قول من يقول بالحسن والتقيح ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل لازمة له ، ولا يجعل الشرع إلا كاشفاً عن تلك الصفات ، لا سبباً لشيء من الصفات ، فهذا قول المعتزلة ، وهو ضعيف . وإذا ضم إلى ذلك قياس الرب على خلقه ، فقبل : ما حسن من المخلوق حسن من الخالق ، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق ترتب على ذلك أقوال القدرية الباطلة ، وما ذكره في التجوير

والتعديل ... وأما الطرف الآخر ... فهو قول من يقول : إن الأفعال لم تشمل على صفات هي أحكام ، ولا على صفات هي علي لأحكام ، بل القادر أمر بأحد المتأثرين دون الآخر لمحض الإرادة ، لا بحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر . ويقولون : إنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله ، وينهى عن عبادته وحده ، ويجوز أن يأمر بالظلم والفساد ، وينهى عن البر والتقوى ، والأحكام التي توصف بها الأحكام مجرد نسبة وإضافة فقط ، وليس المعروف في نفسه معروفاً عندهم ولا المنكر في نفسه منكر عندهم ... ليس في نفس الأمر عندهم لغير معروف ولا منكر ولا طيب ولا خبيث ، إلا أن يعبر عن ذلك بما يلائم الطباع ، وذلك لا يقتضي عندهم كون الرب يحب المعروف ويبغض المنكر ... وهذا خلاف المنصوص والمعقول ، وقد قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وعندهم تعلق الإرسال بالرسول كتملك الخطاب بالأفعال ، لا يستلزم ثبوت صفة لا قبل التعلق ولا بعده =

فهؤلاء أثبتوا القدرة والمشيفة والخلق ، ولكن قصروا في إثبات الرحمة والحكمة والعدل ، وأولئك / أثبتوا شيئا من الحكمة والعدل ، ولكن قصروا في ذلك أيضاً ، مع نقصهم في القدرة والمشيفة والخلق ، وإن كان كل من الفريقين لا ينكر أمر الشرع ونبيه .

لكن غلاة أولئك دفعوا بعقوبتهم كثيرا مما جاء به الشرع من الأمر والنهي ، وقالوا : هذا يخالف الحكمة المعقولة ، كما فعل إبليس وذووه . وغلاة هؤلاء دفعوا أيضا الأمر والنهي وقالوا : لو شاء الرحمن ماعيدناهم ، كما قال المشركون . وإبليس أغلظ كفرا ، ولهذا كانت بدعة أولئك أقرب إلى السنة والجماعة .

وهذه الأمور التي تحبها النفوس والقلوب بفطرتها هي المعروف ، والتي تبغضها هي المنكر ، فإن المعرفة هي إحساس مع عبدة ، والإنكار إحساس مع بغضة . فأما ما لم يُحَسَّ بحال فلا (" يُعرف ولا ينكر ، وما لا يُحب ولا يبغض بحال فلا يُعرف ولا ينكر . وإذا حَدَّثَ الرجل بحديث فأنكره لجهله

= والفقهاء وجهور المسلمين يقولون : الله حرم اغتراب فحرمت ، وأوجب الواجبات فوجب ، فلعنا شيطان : إيجاب وتحريم ، وذلك كلام الله وعطابه . وثالث : وجوب وحرمه ، وذلك صفة للفعل . والله تعالى حكيم : علم بما تتضمنه الأحكام من المصالح ، فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي والأمور والمخطئ من مصالح العباد ومفاسدهم ، أو هو أثبت حكم الفعل ، وأما صفته فقد تكون ثابتة بدون الخطاب .

وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

أولها : أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مقسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن . لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة ، إذا لم يرد شرع بذلك . وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتفويض قراهم قالوا : إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ، ولو لم يثبت إليهم رسولا ،

وهذا خلاف النص .
[٥] النوع الثالث : أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحا ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بالخطاب الشارع .

[٦] والنوع الثالث : أن يأمر الشارع بشيء ليحسن العبد على قطعه ثم يعصيه ؟ ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ، فلما أسلما وثله للحين حصل المتصود فقده بالذبح ... فالحكمة منشؤها من نفس الأمر ، لا من نفس المأمور به .

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك ، بدون أمر الشارع .

والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الاستحسان ، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع . وأما الحكماء والجمهور فاثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب .

(١) في الأصل : ولا ، وهو تحريف .

فإنه أنكر مالا أحبه سمعه ، وكذلك الحديث المتكرر عند أهل الحديث هو ما لم يسمعه فيحيوه لصحته وصدقه ، فإذا سمعوه بذلك أنكروه بعد إحساسه .

والمقصود هنا أن محبة هذه الأمور الحسنة ليس مذمومة بل محموداً ، ومن فعل هذه الأمور لأجل هذه المحبة لم يكن مذموماً ولا معاقباً ، ولا يقال إن هذا عمله لغير الله ، فيكون بمنزلة المرائي والمشرك ، فذاك هو الشرك المذموم . وأما من فعلها مجرد المحبة الفطرية فليس بمشرك ولا هو أيضاً متقرباً بها إلى الله ، حتى يستحق عليها ثواب من عمل الله وعبيده ، بل قد يشبه عليها / بأنواع من الثواب : إما بزيادة فيها في أمثالها ، فينتعم بذلك في الدنيا ، ولهذا كان الكافر يُجزى على حسناته في الدنيا وإن لم يتقرب بها إلى الله ، ولو كان يفعل كل حسن إذا لم يفعل الله مذموماً يستحق به صاحبه العقاب لما أطعم الكافر بحسناته في الدنيا إذا كانت تكون سيئات لا حسنات ، وإذا كان قد ينتعم بها في الدنيا ويُطعم بها في الدنيا فقد يكون من قوائد هذه الحسنات وتيجتها وثوابها في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه ، فيكون له عليها أعظم الثواب في الآخرة .

وهذا معنى قول بعض السلف : طلبنا العلم لغير الله فأبى ^(١) أن يكون إلا لله . وقول الآخر لما قيل له : إنهم يطلبون الحديث بغير نية ، فقال : طلبهم له نية ، يعني نفس طلبه حسن ينفعهم . وهذا قيل في العلم لخصوصيته ، لأن العلم هو الدليل المرشد ، فإذا طلبه بالحبية وحصله عرفه الإخلاص لله والعمل له .

وهذا قال من قال : هو من النظر الأول الذي هو مقدمة العرفان ، فإن القصد والنية مشروط بمعرفة المقصود المثوى به ، فإذا لم يعرفه بعدد كيف يتقرب إليه ؟ فإذا نظر بمحبة أو غيرها فعلم المعبود المقصود صح حيثئذ أن يعبد ويقصده . وكذلك الإخلاص كيف يخلص من لم يعرف الإخلاص ؟ فلو كان طلب علم الإخلاص لا يكون إلا بالإخلاص لزم الدور ، فإن العلم هو قبل القصد والإرادة من إخلاص وغيره ، ولا تقع الإرادة والقصد حتى يحصل العلم .

وعلى هذا فمأذكرة الإمام أحمد عن نفسه / هو حسن ، وهو حال النفوس المحمودة المستقيم

(١) في الأصل : فأبى .

حالتها . ومن هذا قول خديجة رضى الله عنها للنبي ﷺ : إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق . فهذه الأمور كان يفعلها حجة لها تخلق على ذلك وفطر عليه ، فعلمت أن النفوس المطبوعة على حجة الأمور المحمودة وفعلها لا يوقعها الله فيما يضاد ذلك من الأمور المذمومة ، لما قال لها : قد خشيت على نفسي . قالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً .. الحديث وهو فى الصحيحين^(١) .

وقد تنازع الناس فى النبوة : هل هى مجرد إنشاء الله لعبده ، أو هى راجعة إلى صفات كمال فيه ؟ كما تنازعوا فى النبوة : هل هى مجرد تعلق خطاب الشارع ، أو هى راجعة إلى صفات يتميز بها ، ولابد من خطاب إلهي أو إنشاء ؟^(٢) ولهذا كانت النبوة أجزاءً ، كما قال النبي ﷺ : الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة - رواه أهل السنن^(٣) ، فهذا فى العمل . وقال فى العلم : الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة^(٤) . وقال : ثلاث من أخلاق المرسلين^(٥) .

(١) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى عدة مواضع فى صحيح البخارى .

انظر مثلاً فتح البارى (ط . السلفية) ١ / ٢٢ حديث رقم ٣ (كتاب بدء الوحي ، الباب الثالث) ، ٨ / ٧١٥ حديث رقم ٤٩٥٣ (كتاب التفسير ، سورة اقرأ) .

وهو فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أيضاً (شرح النووي) ٢ : ١٩٧ - ٢٠٥ (كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي) .

وفى المسند (ط . الحلبي) ٦ / ٢٢٣ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ .
(٢) فى الأصول : بناء ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى : سنن أبى داود (بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد) ٤ / ٣٤٣ (كتاب الأدب ، باب فى الوقار) وأوله : إن الهدى الصالح ... إلخ وجاء الحديث فى المسند (ط . المعارف) ٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥ (رقم ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩) .

(٤) الحديث عن عبادة بن الصامت وأبى هريرة وأبى

سعيد الخدرى رضى الله عنهم فى :

فتح البارى ١٢ / ٣٧٣ ، رقم ٦٩٨٨ ، ٦٩٨٩ (كتاب التعبير ، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة ...) ، ١٢ / ٤٠٤ رقم ٧١٧ (كتاب التعبير ، باب القيد فى المنام)

صحيح مسلم (بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي) ٤ / ١٧٧٤ ، رقم ٢٦٦٣ ، ٢٦٦٤ (كتاب الرؤيا ، الأحاديث من ٦ - ٨) .

سنن أبى داود ٤ / ٤١٦ (كتاب الأدب ، باب ما جاء فى الرؤيا) .

سنن الترمذى (نشر الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان) ٣ / ٣٦٣ (كتاب أبواب الرؤيا ، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين ...) ، ٣ / ٣٦٦ (كتاب أبواب الرؤيا ، باب ما جاء فى تعبير الرؤيا) وهذا الحديث عن أبى رزэн العنقل رضى الله عنه . وجاء الحديث فى المسند وفى سنن ابن ماجه .

(٥) فى الأصول : ثلث من أخلاق المرسلين ، وبعد هذه العبارة يبايض بمقدار عشر كلمات تقريباً ، ولم أجد هذا =

وهذا الحب والإحساس الذي خلقه الله في النفوس هو الأصل في كل حسن وقبح ، وكل حميد وذم ، فإنه لولا الإحساس الذي يُعتمد به في حب حبيب وبغض بغيض لما وجدت حركة إرادية أصلاً تحرك شيئاً^(١) من الحيوان باختياره ، / ولما كان أمر ونهى وثواب وعقاب ، فإن الثواب إنما هو بما تحبه النفوس وتتعم به ، والعقاب إنما هو بما تكره النفوس وتتعذب به ، وذلك إنما يكون بتعد الإحساس ، فالإحساس والحب والبغض هو أصل ما يوجد في الدنيا والآخرة من أمور الحى ، وبه حسن الأمر والنهى والوعد والوعيد . وذلك الأمر والنهى والوعد والوعيد هو تكميل للفطرة ، وكل منهما عون على الآخر ، فالشرعة تكميل للفطرة الطبيعية ، والفطرة الطبيعية مبدأ وعون على الإيمان بالشرع والعمل به ، والعبد من دان بالدين الذى يصلحه فيكون من أهل [العمل] الصالح^(٢) في الآخرة ، والشقى من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشريعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

انظر خواص الزوائد ص ١٤٤ تحت الفهم

الكبير ، عن أبي الدرداء) .

^(١) في الأصل : شيء . وهو خطأ .

^(٢) في الأصل من أهل الصالح ، ولعل الصواب ما

أثبتته .

= الحديث ولكنى وجدت حديثاً بمعناه ذكره السيوطى في

« الجامع الكبير » ونصه : « ثلاث من أخلاق النبوة : تمثيل

الإفطار ، وتأخير السحور ، ووضع اليمنى على الشمال في

الصلاة » . ثم قال السيوطى : (مطب = الطيزان في المعجم